

أخلاق الإجهاض والرحم الصناعي

بنين جامد جبار

باحثة عراقية

الإرسال: 2022/06/27 القبول: 2022/07/01 النشر: 2022/07/01

ملخص

الإجهاض هو فقدان الحمل خلال أول 24 أسبوعاً. غالباً ما يُشار إلى حالات الإجهاض باسم "فقدان الحمل المبكر". قد يُطلق على الإجهاض أيضاً اسم "إجهاض تلقائي". في حين أن معظم حالات الإجهاض تحدث قبل الأسبوع العشرين من الحمل، فمن الممكن الإجهاض بعد هذه المرحلة.

يعتبر الإجهاض من أكثر القضايا الأخلاقية إثارة للجدل لأنه ينطوي على إزهاق روح الإنسان. النقاش الرئيسي حول الإجهاض هو ما إذا كان الجنين شخصاً أم لا. إذا كان الجنين لا يعتبر إنساناً، فإن الإجهاض جائز أخلاقياً. ومع ذلك، إذا كان الجنين يعتبر شخصاً، فإن الإجهاض خطأ أخلاقياً لأنه يعادل قتل الإنسان. هناك مجموعة متنوعة من الحجج التي يمكن تقديمها لكلا جانبي القضية. إحدى الحجج التي تدل على اعتبار الجنين شخصاً هي أنه يمكن أن يصبح شخصاً. تنص هذه الحجة على أنه بما أن الجنين لديه القدرة على أن يصبح شخصاً، فيجب أن يُمنح نفس الوضع الأخلاقي الذي يتمتع به الشخص الفعلي. حجة أخرى ضد اعتبار الجنين إنساناً هي أنه ليس لديه وعي، وهو القدرة على الشعور بالألم والسرور. تنص هذه الحجة على أنه بما أن الجنين لا يشعر بالألم أو المتعة، فهذا يعني أنه ليس إنساناً بعد.

أحد الاعتبارات الرئيسية هو مسألة ما إذا كان للجنين الحق في الحياة أم لا. هذا سؤال معقد ناقشه الفلاسفة وعلماء الأخلاق لسنوات عديدة. اعتبار رئيسي آخر هو مسألة المنفعة. يشير هذا إلى الفوائد أو الأضرار المحتملة التي قد تنجم عن الإجهاض. على سبيل المثال، إذا كانت المرأة حامل بطفل مصاب بعيب خلقي خطير، فقد تختار إجراء عملية إجهاض لمنع الطفل من المعاناة

الكلمات المفتاحية:

إجهاض_ منفعة_ أخلاقيات_ حقوق_ جنين

Abstract

Abortion is the loss of pregnancy within the first 24 weeks. Abortions are often referred to as "early pregnancy loss." Abortion may also be called "spontaneous abortion."

Abortion is one of the most controversial ethical issues because it involves the loss of human soul. The main debate about abortion is whether the fetus is a person or not. If the foetus is not considered a human being, abortion is morally permissible. However, if the foetus is considered a person, abortion is morally wrong because it is equivalent to killing a human being. There are a variety of arguments that can be made for both sides of the case. One argument that the fetus is considered a person is that it can become a person. This argument states that since the foetus has the ability to become a person, it must be granted the same moral status as the actual person. Another argument against considering a fetus a human being is that it has no awareness, which is the ability to feel pain and pleasure. This argument states that since the fetus does not feel pain or pleasure, it means that it is not yet human. One of the main considerations is the question of whether or not the foetus has the right to life. This is a complex question that philosophers and ethicists have discussed for many years. Another key consideration is the question of benefit. This indicates the potential benefits or damages that may result from abortion. For example, if a woman is pregnant with a child with a serious birth defect, she may choose to have an abortion to prevent the child from suffering.

مدخل:

الإجهاض لغة هو إسقاط الجنين من الرحم قبل مواعده، يقال "أجهضت الحامل: ألفت ولدها لغير تمام: ويقال: أجهضت جنينا، وفي الحديث: فأجهضت جنينها، فهي مجهض، ومجهضة"⁽¹⁾، وشرعاً الإجهاض هو "إسقاط الجنين، ناقص الخلق"⁽²⁾، وقانوناً، الإجهاض هو "جريمة ترتكب بإخراج الجنين من الرحم قبل الموعد الطبيعي لولادته، وقد ترتكبها الحامل نفسها، وقد يرتكبها شخص آخر، ويكون الإجهاض ضرورياً إذا ارتكب في ظروف تتوافرها عناصر حالة الضرورة، ومن ثم لا مسئولية عنه، ولا عقاب عليه"⁽³⁾، وهو "جريمة موضوعها إسقاط الجنين من امرأة بصورة متعمدة قبل الموعد الطبيعي لولادته"⁽⁴⁾.

اتخاذ قرار الإجهاض أمر خطير ومرعب بالنسبة لكل حامل، وبالنسبة لزوجها أيضاً - حتى إذا سمح به المجتمع. لكن أمن حق المجتمع مثلاً أن ينكر على امرأة تحمل جنيناً مصاباً بمرض ليش نيهان أن تجهض الجنين، ليتركها وحدها، هي وعائلتها، تتلقى عذاباً لا قبل لأُم به إذ ترى ابنها "يأكل بعضه"؟ ومن ناحية أخرى، أمن حق المجتمع أن يسمح بولادة طفل كهذا لن يجد في حياته القصيرة سوى العذاب والآلام؟ هل من حق الأم أن تلد للمجتمع ولعائلتها طفلاً عرفت مقدماً أن أباه قد يطلب فتوى تحل قتله ليتخلص من العذاب؟

يثير العلم دائماً قضايا اجتماعية جديدة لم يسبق للإنسان أن واجهها، ولعل مشكلة الإجهاض أخطر المشاكل التي ولدها التقدم الهائل في علم الوراثة الجزيئية، وهي مشكلة غاية في التعقيد يلزم أن يتصدى لها المجتمع. رجال الدين، المؤسسة الطبية، علماء النفس، الاجتماع، والفلاسفة. لقد مكننا العلم من "التنبؤ"

(1) شوقي ضيف وآخرين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص143.

(2) أشرف طه أبو الدهب: المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002، ص30.

(3) أحمد عز الدين عبد الله وآخرين: معجم القانون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1999، ص238.

(4) عبد الواحد كرم: معجم مصطلحات الشريعة والقانون، دون دار نشر، 1995، ص18.

الصحيح، من أن نعرف مبكراً ما يخبئه الجهاز الوراثي للجنين من أمراض وراثية، فوضعنا بذلك أمام معضلة جسيمة علينا أن نحسمها.

يفترض بيتر سينجر أن الحجة بشأن الإجهاض قد أخطأت في الوصول إلى المقصد منها؛ فهو يؤكد أن النقاش ينبغي أن يركز على ما إذا كان من الخطأ قتل إنسان بريء بدلاً من الجدل حول ما إذا كان الجنين إنساناً بريئاً أم لا. إن الحجج المؤيدة لإباحة الإجهاض حول متى تبدأ شخصية الإنسان غامضة؛ وبالتالي لا يمكن أن تحدد لحظة معينة لبداية الشخصية. ونظراً لأن العقل يمكنه أن يذهب بعيداً فقط في قدرته على تحديد الأخلاق، فإننا سوف نوضح أن سينجر أيضاً يخطئ في فهم المسألة أيضاً؛ بدلاً من ذلك، فإن السعي إلى أن تكون فاضلاً يبرهن على أن الإجهاض خطأ من الناحية الأخلاقية.

يثير الإجهاض عدة مشكلات خلقية وفلسفية؛ فهل الجنين شخص له الحقوق الخلقية نفسها للكائنات الراشد؟ هل إجهاض الجنين مسموح به خلقياً؟ أو هل الإجهاض مسموح به خلقياً في ظروف معينة؟ وإذا كان الإجهاض مسموح به في بعض الأحيان فما الأسباب؟ وفي أي مرحلة من مراحل نمو الجنين لا يسمح بالإجهاض؟ وهل قدرة الجنين على النمو والحياة تشكل موقفاً خلقياً مغايراً نحو الإجهاض؟، وهل دبيب الحياة والركوض داخل أحشاء الأم يشكل موقفاً أخلاقياً مختلفاً؟ ثم ماذا لو تعارض حق الأم مع حق الجنين في الحياة؟ ومثل هذه الأسئلة تجعلنا نتعرض لمواقف الأخلاقيين في محورين:

المحور الأول: هل الجنين يعد كائناً بشرياً، وإذا كان ذلك صحيحاً، ففي أي مرحلة يصير الجنين كائناً بشرياً له الحق الخلقى نفسه في الحياة والذي يمتلكه الكائن البشري الراشد؟

المحور الثاني: متى يمكن للأم ولأعضاء آخرين من المجتمع أن يتجاوزوا حقوق الجنين؟

المحور الأخلاقي الأول والذي يثيره الإجهاض يجعلنا نسأل هل الجنين كائن بشري له الحقوق الأخلاقية نفسها التي تمتلكها الكائنات البشرية، وهذا يجعلنا نتعرض إلى المواقف المتعددة حيال هذا الأمر⁽¹⁾.

على النقيض من حركة حق الحياة، كانت حركة حق الإجهاض قد آزرت المرأة في مسيرتها الطويلة في المطالبة بحقوقها الإنجابية. فهي لها حق الإجهاض بوصفها مخلوق يتمتع بحس أخلاقي وقدرة على اتخاذ قرارات معقولة بشأن نفسها، ووفق هذا يكون الإجهاض اختياراً أخلاقياً ومنطقياً. حيث إنه "لا يوجد من هو أفضل من المرأة ذاتها لتقييم ظروف حياتها. ولا يوجد من هو أجدر منها على تقدير وجود طفل أم لا. وإن الموقف المتعسف من قبل الأطباء والسياسيين والمشرعين أنصار الاتجاه المحافظ الذين يصرون على عدم وجوب الإجهاض، يعنى ضمناً أن المرأة تفتقر إلى القدرة على اتخاذ قرارات عقلانية بشأن نفسها وتحمل مسئوليتها"⁽²⁾.

يفترض سينجر أن الحجة بشأن الإجهاض قد أخطأت في الوصول إلى المقصد منها؛ فهو يؤكد أن النقاش ينبغي أن يركز على ما إذا كان من الخطأ قتل إنسان بريء بدلاً من الجدل حول ما إذا كان الجنين إنساناً بريئاً أم لا. إن الحجج المؤيدة لإباحة الإجهاض حول متى تبدأ شخصية الإنسان غامضة؛ وبالتالي لا يمكن أن تحدد لحظة معينة لبداية الشخصية. ونظراً لأن العقل يمكنه أن يذهب بعيداً فقط في قدرته على تحديد الأخلاق، فإن هذه الورقة البحثية سوف نوضح أن سينجر أيضاً يخطئ في فهم المسألة أيضاً؛ بدلاً من ذلك، فإن السعي إلى أن تكون فاضلاً يبرهن على أن الإجهاض خطأ من الناحية الأخلاقية.

يعرض سينجر الحجة ضد الإجهاض على هيئة حجة منطقية صورية، حيث يضع القياس المنطقي، "المقدمة الأولى: من الخطأ قتل إنسان بريء. المقدمة الثانية:

⁽¹⁾ Robert W. Shaw & others: Gynaecology, Churchill Livingstone, London, Vol.2 Second Edition, 1997, P. 896.

⁽²⁾ Dworking, R., Life's Dominion: An argument about Abortion and Euthanasia, Harper Collins, London, 1993, P. 166.

الجنين البشري إنسان بريء. النتيجة: إذن من الخطأ قتل جنين بشري". يذهب سينجر إلى القول بأن الخلاف يتعلق عادة بالمقدمة / الفرضية الثانية؛ حيث يقول أن المعارضين للإجهاض / المؤيدين للحق في الحياة يقفون على أرض صلبة مع هذه الحجة لأنه من الصعب تحديد لحظة زمنية بدقة، إلى جانب الحمل، يصبح عندها الجنين النامي إنساناً لأن التطور البشري تدريجي. عادة ما يقول الأشخاص المؤيدون لإباحة الإجهاض أن قابلية الحياة والنمو أو الولادة أو ركض الجنين/ إعطاء الحياة أو الوعي هي اللحظة التي يصبح فيها الجنين شخصاً.

يقول الفيلسوف رونالد دفوركين إن تركيز الجدل حول شخصية الجنين يغفل القضية الأساسية. إن الاختلاف حول شرعية الإجهاض إنما يعود في الأصل إلى اختلاف الأفكار حول قيمة الحياة البشرية. فمن يحرمون الإجهاض كلية، أو من يرون أن يحد منه كثيراً، هؤلاء يجعلون حياة الإنسان قيمة مقدسة لا بد أن تصان. أما الليبراليون فيرون أن قيمة الحياة إنما تنشأ عما تم من استثمار بشري فيها. وعدم إجهاض بعض الأجنة - تلك التي تحمل أمراضاً تमित أو تقعد - إنما يعنى التقليل من قيمة الحياة: حياة الآباء وحياة أطفال العائلة التي سيولد بها الصغير المريض. ستقل قيمة حياة الآباء وأبنائهم الموجودين، تلك التي استوعبت بالفعل استثماراً بشرياً كبيراً، وستكون الخسارة إذن أكبر بكثير مما نخسره بإجهاض حياة لم تصبح بعد حياة حقة⁽¹⁾.

قيمة الحياة عند الليبراليين يبتدئ تشكيلها منذ نشأة الفرد: أي تغذيته قبل الولادة وبعدها، الرعاية والحنان والحب التي يمنحها له الآخرون، السبل التي سلكها الفرد لصياغة حياته، والاحتمالات التي فتحتها له جهوده. انظر إلى إحساسنا بتراجيديا الموت. عندما تنتهى الحياة في الطفولة أو في الصبا الباكر، نأسى على ما ضاع سدى من الحب والرعاية والجهد، لكن إحساسنا بموت "إنسان" لا يكون كبيراً. وإذا مات الشخص في عمر متأخر أصابنا الحزن، لكنه حزن يدرك أن ما بذل

(1) أحمد مستجير: قراءة في كتابنا الوراثي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص90.

من جهد قد أتى كله، فلقد تحقق بالفعل ما كان محتملاً. أما الأكثر مأساوية فهو الموت في سن النضج أو الشباب الباكر، عندما يكون ما بذل في تطوير حياة الفرد وتشكيله قد أفصح عن نفسه في احتمالات واضحة غدت على شفا التحقيق، ولما تتحقق نقول إن إنساناً مات والعالم كله متفتح أمامه⁽¹⁾.

تعد هذه الآراء الأربعة - سالفه الذكر - غامضة فيما يتعلق باللحظة الدقيقة التي يصبح فيها الجنين إنساناً. إن فكرة القابلية للحياة والنمو شديدة الغموض، لأنها تعتمد على التكنولوجيا الطبية. إذا زادت التقنيات الطبية، يمكن للجنين الأصغر سناً أن يعيش، ووفقاً لوجهة النظر هذه، يصبح الجنين شخصاً صغير السن. كما أن الوصول إلى هذه التقنيات الطبية من شأنه أن يغير اللحظة التي يصبح فيها الجنين إنساناً. وبناء على ذلك، سيكون من الخطأ من الناحية الأخلاقية أن تقوم المرأة بإجهاض جنينها في مدينة حديثة بها تقنيات طبية جيدة. من ناحية أخرى، ووفقاً لوجهة النظر هذه، فإنه يجوز أخلاقياً إجهاض الجنين نفسه إذا كانت المرأة تعيش في منطقة نامية لا تستطيع فيها الوصول إلى التقنيات الطبية المناسبة. كما أن فكرة الولادة أيضاً غير واضحة لأنها تتعلق فقط بموقع الجنين؛ يظل الشخص إنساناً بغض النظر عن المكان الذي يتواجد فيه. لا يختلف الطفل قبل الولادة بأسبوع كثيراً عن الطفل بعد أسبوع من الولادة. يشير ركض الجنين إلى أول مرة تشعر فيها الأم بحركة الجنين. ومع ذلك، قد لا تشعر الأم بالحركة الأولى للجنين. فقد تكون الأم نائمة في وقت الحركة الأولى أو ربما كانت حركة الجنين ضعيفة للغاية بحيث لا يمكن ملاحظتها. إن الموجات فوق الصوتية قادرة على اكتشاف حركات الجنين حتى قبل أن تشعر بها الأم. أما الوعي، فهو القدرة على الشعور بالألم والسرور. ليس من المعروف تحديداً متى يبدأ الجنين في الشعور بالألم. حيث تؤكد بعض الدراسات بأن الجنين يصبح قادراً على الشعور

(1) المرجع نفسه، ص 91.

بالألم في الأسبوع السابع. نظرًا لأن كل هذه الآراء غامضة، ينظر سينجر إلى مشكلة الإجهاض بطريقة مختلفة⁽¹⁾.

ماذا يقول معارضو الإجهاض؟

إذا ما كان الجنين يحمل جينات - مثل جين ليش نيهان - تسبب العذاب والآلام لحاملها ولأسرته، فهل الإجهاض هنا يعنى الرحمة بالوليد وبأهله؟ الكثيرون يرون أن عملية الإجهاض، مهما كانت الدوافع وراءها، هى عملية قتل، ازهاق روح، تحطيم متعمد لحياة شخص لم يولد، عملية مهينة تحط من قيمة الحياة البشرية أثنى ما فى الوجود. المجسات الوراثية التى طلع علينا بها علم الوراثة الحديث ليست عندهم سوى سلاح جديد من أسلحة الشر التى يفاجئنا بها العلم كعاداته. إنها تحيل الإنسان إلى سلعة، بضاعة، يلزم أن تفحص قبل أن تنتج وتعرض، ليستبعد منها ما هو غير مطابق "للمواصفات". من سيضع هذه المواصفات؟ ألا تقود هذه المجسات حقاً إلى "يوجينيا" جديدة تسلحت بالعلم الحديث، تعيد الحياة مرة أخرى إلى تلك الفكرة الجهنمية لإنتاج السوبرمان التى استولت على أذهان المفكرين والنازى فى العقود الأولى من القرن الماضى، أهى اليوجينيا إذن تدخل علينا من الباب الخلفى وقد ارتدت ثياب العلم، متخفية تحت اسم "اليوجينيا اليوتوبية" لتذيع الدمار مدعية أنها تسعى إلى تقليل آلام الإنسان - القتل باسم الرحمة؟ هل سنعود إلى ما قاله يوماً هافلوك إليس: يلقي الرجل العطوف قرشاً للمتسول، أما الأكثر عطفاً فيبني له ملجأ حتى لا يحتاج إلى التسول، لكن ربما كان أكثرنا عطفاً هو من يدبر الأمر بحيث لا يولد المتسول؟ نستبدل بالمتسول المريض بمرض وراثي؟⁽²⁾.

إذا ما وافقنا على أن من حق المجتمع أن يسمح للأمهات بإجهاض الأجنة التى تحمل أمراضاً وراثية، فأى الأمراض الوراثية نعى؟ عى الألوان؟ قصر النظر؟

⁽¹⁾Countryman Jacob.

⁽²⁾أحمد مستجير: ص 85-86.

الحول؟ السكر الوراثي؟ هل نمضى لنجهض الأجنة الحاملة لمرض هنتنجنجتون الوراثي الذي لا يقتل إلا في نحو سن الأربعين (ومجسه الوراثي جاهز بالفعل منذ الثمانينات)؟ أو الحاملة لمرض الزهايمر الذي يصيب الإنسان عادة بعد سن الستين؟ لو أننا استخدمنا المجس الوراثي الخاص بمرض FALS لأجهضنا الجنين الذي أصبح ستيفن هوكنج أستاذ الفيزياء الفلكية بجامعة كمبريدج - أشهر من سبر أصل الكون في عصرنا. وماذا لو طلب أحدهم إجهاض الجنين لأن أعينه ليست زرقاء مثلاً؟ فمن الممكن بالطبع أن تصنع مجسات وراثية تكشف لون العين في الجنين. نحن نعرف على أية حال أن هناك في البشر أكثر من أربعة آلاف مرض وراثي، وأن كل فرد منا يحمل في المتوسط أربعة أمراض منها. لا بد للمجتمع إذن أن يحدد الأمراض الوراثية التي يقبل فيها الإجهاض. لا بد أن تكون هي الأمراض التي تقتل في الطفولة، التي يعجز حاملها عن أن يرعى أموره وأن يتحمل مسئوليات حياته. أم ترى الواجب أن يترك القرار للأم الحامل - كما يرى الكثيرون - بعد أن يشرح لها بالتفصيل كل ما هو معروف عن المرض؟ لكن... أليس للجنين هو الآخر حقوق؟⁽¹⁾

يؤكد سينجر بأن هذه الحجج تخطئ الهدف؛ حيث إنه يعتقد أن الفرضية الأولى، القائلة بأنه من الخطأ قتل إنسان بريء، يجب الطعن عليها. فالآراء الأربعة المذكورة أعلاه تعارض الفرضية الثانية، وهي أن الجنين البشري إنسان بريء. بينما الفرضية الأولى، المعروفة أيضاً بقدسية الحياة، مقبولة على نطاق واسع. إلا أن سينجر يتحدى هذا القبول. حيث يؤكد أن مصطلح "إنسان" في القياس المنطقي غامض، ومن ثم، يسمح للقياس المنطقي بالعمل. قد يشير مصطلح "الإنسان" إما إلى "عضو من نوع" الإنسان العاقل *Homo sapiens* أو "كونه شخصاً". إذا كانت كلمة "إنسان" تشير إلى "شخص"، أي كائن عقلائي أو واعٍ بذاته، فإن الفرضية الأولى صحيحة، بينما الثانية خاطئة لأن الأجنة ليست عقلائية أو واعية بذاتها. أما

(1) المرجع نفسه، ص 87.

إذا كانت كلمة "إنسان" تشير إلى "عضو من الجنس البشري"، فإن الفرضية الثانية صحيحة، بينما الفرضية الأولى خاطئة لأن الإجهاض لن يختلف عن كونه قتل عضو من جنس آخر⁽¹⁾.

هل الجنين شخص؟

هناك فريق كبير من المفكرين لا يعارض الإجهاض في الحالات الصارخة من الأمراض الوراثية الخطيرة. كمثال مرض ليش نيهان ومرض تاي ساكس - وهم يبدأون بمحاولة تعريف "الشخص". هل يمكننا أن نعتبر الجنين شخصاً؟ خصوصاً في المراحل الأولى من الحمل (التي يسمح فيها بالإجهاض؟) المعروف أن الجنين حتى عمر 26 أسبوعاً لا تكون له الاتصالات العصبية التي تمكنه من أن يشعر بالسرور أو بالألم. وما ليس له شعور ولا إدراك لا يعتبر شخصاً له حقوق يمكن أن تنتهك بالإجهاض، فليس ثمة من يحمل هذه الحقوق. لكن إنكار حقوق الجنين من ناحية أخرى يجعل الإجهاض أمراً هيناً من الناحية الأخلاقية - وهو بالتأكيد ليس كذلك، على الأقل بالنسبة لكل امرأة حامل⁽²⁾.

يؤكد سينجر أن خصائص الجنين تحدد أهميته الأخلاقية. حيث يعتقد أن الخصائص الضرورية هي العقلانية والوعي الذاتي. وإلى أن تتحقق هذه القدرات للجنين، يرى أن حياة الجنين ليس لها قيمة جوهرية، وبالتالي، يجوز إجهاضه من الناحية الأخلاقية. بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ليقول إنه يجوز من الناحية الأخلاقية قتل الرضيع حتى يبلغ من العمر شهراً واحداً، لأنه لم يصبح واعياً بذاته أو عقلياً بعد. حتى لو كان الجنين واعياً، ولكنه ليس واعياً بذاته، فإن الأم ستقرر قيمة الجنين وفقاً لشروط نفعية. ووفقاً لهذا الرأي، إذا وجدت الجنين ذو قيمة، فإنها تحتفظ به. وعلى العكس من ذلك، إذا وجدت أنه ليس ذا قيمة، فقد تجهضه. إلا أن سينجر لا يضع في الحسبان احتمال أن يصبح الجنين واعياً

⁽¹⁾Countryman Jacop.

⁽²⁾ أحمد مستجير: ص 90.

وعقلانياً. إذا ترك الجنين ينمو بطريقة طبيعية داخل رحم الأم ويولد، فيمكنه أن يمتلك هذه الصفات. يقدم سينجر دحضاً بسيطاً لهذه الحجة من خلال التأكيد على أن الشيء الذي قد يصير شيئاً ذا قيمة له قيمة أقل من الشيء الذي له قيمة بالفعل. ومع ذلك، فإن النضج للوصول إلى الوعي الذاتي والعقلانية سيحدث لكل طفل، ما عدا عدد قليل من الاستثناءات⁽¹⁾.

إن معيار "الوعي بالذات من المعايير المهمة لتحديد ما إذا كان الكائن البشري يعد شخصاً له حقوق أخلاقية، ذلك لأنه يعرف على أنه كائن بشري، وعضو أو فرد من أفراد الجنس البشري، الذي من أهم صفاته أنه من البشر العقلاء الذين يملكون قدرة على الوعي بالذات، فما الذي نعينه حين نقول أن الإنسان يملك "وعياً بالذات"؟ إننا نقصد بذلك "السمة الأساسية التي يتميز بها الموجود البشري دون سواه، والتي تجعله قادراً على الارتداد إلى ذاته وإدراكها، والتي هي نفسها جوهر الفكر... الذي يعنى الانعكاس أو الارتداد، وهي أيضاً جوهر الكلية واللاتناهي، وأساس فكرة الحرية، والسبب الأول في قيام المجتمع البشري ووجود الصراع في الحياة الاجتماعية... الخ"⁽²⁾.

إن من أهم شروط "الوعي بالذات" قدرة الكائن على اتخاذ القرارات، وهذا ما لا ينطبق على الجنين البشري في أي مرحلة من مراحل نموه، ولكن هذا أيضاً لا ينطبق على الطفل بعد ولادته بأشهر عديدة، وهو أيضاً لا ينطبق على أعداد كبيرة من البشر – كالمثقلين عقلياً أو الذين يعتبرون ميتين من الناحية الإكلينيكية – ومع ذلك فنحن نحترم حياة هؤلاء ونحاول أن نوفر كل ما يحتاجونه أو كل ما يؤجل موتهم لفترة طويلة، ولكن هناك الكثير من الأشخاص الذين يرون أنه يوجد فرق بين المجموعتين، فالأجنة أو البويضات الملقحة لا تزال في طور النمو، وهي لا تملك القدرة على الاتصال بالآخرين، كم أنها لا تعي ذاتها إلا بعد نمو الجهاز العصبي فيها.

⁽¹⁾Countryman Jacob.

⁽²⁾ توم ستونير: ما بعد المعلومات، التاريخ الطبيعى للذكاء، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة(232)، القاهرة، 2000، ص38.

(أي حتى الأسبوع الثامن)، ولذلك فهي من وجهة نظرهم، لا تعتبر سوى كائنات حية لا تختلف حقوقها عن حقوق بقية الحيوانات في تجنبها الألم إذا أردنا أن نجرى عليه تجارب⁽¹⁾. أما الأشخاص المتخلفون أو الميتون من الناحية الإكلينيكية، فهؤلاء لهم وجود فعلى، وبعضهم كان على اتصال بالآخرين، وكان يملك حرية اتخاذ القرارات قبل أن يدخل في غيبوبة دائمة. ولذلك يري هؤلاء أن الأجنة والبويضات الملحقه ليس لها نفس حقوق البشر العاديين⁽²⁾.

تتعلق حجة سينجر بالعقل فقط. ومع ذلك، هناك حد لتدخل العقل في الجدل حول أخلاقيات الإجهاض. حتى لو كان الإجهاض جائزاً من الناحية الأخلاقية، فسيظل الإجهاض خطأً. على سبيل المثال، يتحدث سينجر عن امرأة اكتشفت أنها حامل في شهرها الثاني وعقدت العزم على إجراء عملية إجهاض لأنها أرادت القيام بشيء ما أولاً. ثم أنهت ما أرادت فعله، ثم أصبحت حامل مرة أخرى. وهكذا، لم يُحرم العالم من إنسان آخر. يؤكد سينجر بأن المرأة اتخذت القرار الصحيح. ومع ذلك، فإن ما قامت به المرأة هو فعل أثيم في فضائلها؛ وذلك لأن الأسباب التي دفعها لإجراء الإجهاض هي ببساطة أسباب أنانية. بالنسبة إلى المؤيد للمذهب النفعي، هذا التفكير عديم الفائدة لأن الإجهاض سيضيق أكبر قدر من السعادة لمعظم الناس لأن الجنين لم يعد إنساناً بعد. إلا أنه، في الواقع، يؤثر الإجهاض سلباً على قيمة العلاقات الأسرية وأحداث الولادة والموت.

يرى "أنصار الاختيار" أن للمرأة حق اختيار ما تفعله بجسدها. عندهم السماح بالإجهاض أكثر أماناً للمرأة، وهم يستشهدون بإحصاءات تبين أن الموت الناجم عن حالات الإجهاض غير القانونية، حيث كانت هناك آلاف الوفيات قبل قضية "روى في. واد" أصبحت قليلة حين أصبحت تجرى في المستشفيات والمراكز

(1) ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، ص128.

(2) Countryman Jacob.

الطبية. أيضاً فإنهم يجادلون بأن لدى المرأة حقاً في الإجهاض حين تكون ضحية اغتصاب أو سفاح قربي.

يجادل "أشيعاء حق الحياة" بأنه لا حق لأحد في إنكار الحياة. إنهم يرون أن الجنين، مهما كان صغيراً، حياة بشرية، ومن الخطأ أخلاقياً استغلال حياة بشرية، وأن حق الطفل الذي لم يولد بعد يتوجب أن يسمو على حق المرأة في ألا تحمل. أيضاً فإنهم يجادلون بأن من يجرى عملية الإجهاض يحط من قدر إنسانية كل من يتعلق بهم الأمر، بمن فيهم الأم، والطبيب، والمشتغلون بالرعاية الصحية⁽¹⁾.

أيدت حركة حق الإجهاض المرأة في مسيرتها الطويلة في المطالبة بحقوقها الإنجابية. فلها حق الإجهاض بوصفها مخلوق يتمتع بحس أخلاقى وقدرة على اتخاذ قرارات، لذلك يكون الإجهاض اختيار أخلاقى ومنطقي. حيث إنه "لا يوجد من هو أفضل من المرأة نفسها لتقييم ظروف حياتها. ولا يوجد من هو أحق منها على تقدير وجود طفل أم لا. وإن الموقف المتعسف من قبل الأطباء والسياسيين والمشرعين أنصاف الاتجاه المحافظ الذين يصرون على عدم وجوب الإجهاض، يعنى ضمناً أن المرأة تفتقر إلى القدرة على اتخاذ قرارات عقلانية بشأن نفسها وتحمل مسؤوليتها⁽²⁾.

إن حق المرأة في اتخاذ القرار هو الاعتبار الحاسم في قضية الإجهاض. إن الأساس المنطقي للقاعدة القانونية القائلة بعدم اختبار الأسباب، هو أن للمرأة الحق في أن تتحكم في تكاثرها والمخاطر المضمنة في الحمل. وأي اختبارات عامة أو طبية لهذه الأسباب ستمتد إلى الفرصة لإعاقة وإحباط التزام المجتمع بمنح المرأة حرية

(1) فرمجن: القانون الطبي والأخلاق، ترجمة نجيب الحصادي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص174.

(2) Dworking, R., Life's Domminion: An argument About Abortion and Euthanasia, Harper Collins, London, 1993, P. 166.

تحديد مستقبلها التكاثرى. والأفضل، لكى نمنع إعاقة حرية لإدارة، ألا يكون ثمة اختبارات عامة للأسباب⁽¹⁾.

النسوية وجدل الإجهاض

بداية تبدي النسوية كامل موافقتها على أكثر حجج معارضى الإجهاض أهمية وهى أن الجنين شخص منذ لحظة الإخصاب له حق الحياة، ولكنها تؤكد من الوجهة ذاتها أن حق الشخص فى الحياة لا يكفل له انتهاك حرية الآخرين وإهدار مصالحهم الشخصية دون رغباتهم، فإذا كان الجنين شخص فلا يمكن أن يأتى حقه فى الحياة على حساب حق الأم - وهى الشخص البالغ العاقل - فى الاستقلالية بجسدها.

وفى هذا الصدد تقدم لنا المفكرة الأخلاقية جوديث طومسون J. Thomson (١٩٢٩) قياس عازف الكمان المشهور: "تخيل أنك أستيقتظت فى الصباح لتجد نفسك - راقدا فى الفراش بجوار عازف الكمان المشهور، وهو فى حالة من فقدان الوعي بسبب ما يعانى من مرض خطير فى كليته ، فعندما قام محبيه بالإطلاع على كل السجلات الطبيعية المتاحة لم يجدوا سواك من يحمل فصيلة الدم المطلوبة، وعلى أثر ذلك، ومن أجل إنقاذ حياة عازف الكمان ، قاموا بخطفك ونقلك إلى المستشفى ، وقد اتخذ الأطباء فور وصولك كافة الإجراءات العلاجية اللازمة من قبيل توصيل كليتك بكلية عازف الكمان، فكليتك هى السبيل الوحيد لتنقية دمه من السموم ، ويخبرك الطبيب أنه من حقل أن تنفصل عنه ، ولكن من اللطف منك أن تستمر فى الاتصال به لمدة تسعة أشهر لأن انفصالك عنه يعنى موته المحقق"⁽²⁾.

⁽¹⁾ روث كوارترز، ليرودي هود: لتكنولوجيا الوراثة والخيار التناسلي، ضمن كتاب: الجينوم البشرى، تحرير دانييل كلفن، ترجمة أحمد مستجير، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص239.

⁽²⁾ J. Thomson, J., A Defense of Abortion in: Journal of Philosophy and Public Affairs, 1971, Vol.1, No.1, P. 48:49.

تبغي طومسون من هذا القياس أن توضح، إن حقيقة توقف حياة عازف الكمان على استمرار الاتصال بكلية الشخص المخطوف لا يعني أن له الحق في استمرار هذا الاتصال ضد رغبة الشخص المخطوف، كما أن هذه الحقيقة ليس من شأنها أن تنشئ مجالا للحقوق والواجبات، نصف إلى هذا، إنه ليس من حق طرف ثالث أن يتدخل الإقناع الشخص المخطوف باستمرار اتصاله بالمريض ، فلو أنه يرغب في الانفصال الآن فله أن يفعل هذا دون تدخل طرف ثالث ، مع وجوب ألا يتم هذا بشكل وحشي حتى لا يكون انفصاله عنه ظلم له .

وبتطبيق هذا على الإجهاض، يتضح أنه في حالة الحمل غير المرغوب، سواء الناتج عن الاغتصاب أو ضعف وسائل منع الحمل، فمن حق المرأة إنهاء الحمل وحماية جسدها ضد انتهاك الجنين، فلا الأم ولا أي شخص آخر مطالب أخلاقيا بتقديم توضيحات واسعة : بالأهداف، والمصالح، والصحة لمدة تسعة أشهر من أجل حماية حياة شخص آخر⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن طومسون قد استطاعت بهذا القياس أن تكون علامة فارقة وهامة في تاريخ أخلاقيات الإجهاض، لأنها "دافعت عن الحق في الاستقلالية الجسدية للمرأة دون النظر إلى الحتمية البيولوجية، وهوية الجندر Gender Identity"⁽²⁾، إلا أنه ينطوي على مفارقات شتي ، فمن ناحية نلاحظ أن علاقة الأم بالجنين لا يمكن مقارنتها بعلاقة عارضة بين اثنين من الغرباء ، فالحمل بالجنين حتى وأن كان غير مرغوب ينطوي على معنى إرادي ، ذاك المعنى المتضمن صراحة في طبيعة العلاقة الزوجية ، والذي من شأنه إلزام الأم بمسؤوليات وواجبات تجاه

نقلًا عن شيماء عطية: المشكلات الأخلاقية البيوطية في مجال التكاثر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2006، ص80.

(1) Ibid, P. 52.

(2) Williams, M., An Ethics Ensemble: Abortion, Thomson, Finnis and the Case of the Violin Player, In: Journal of Ratio Juris, 2004, Vol. 17, N. 3, P. 385.

الجنين أخصها الحفاظ على حياته ، في حين نجد غياب تام لهذا المعني في مثال عازف الكمان ، فالشخص المخطوف⁽¹⁾:

1- لم تكن لديه أدنى فرصة لقبول أو رفض استخدام عازف الكمان لجسده ، في حين نجد أن المرأة، في الغالب الأعم، تكون راضية على العلاقة الجنسية .

2- موافقة الشخص المخطوف على استمرار استخدام عازف الكمان لجسده، لا تعني موافقته على عملية الخطف، في حين أن الموافقة على العلاقة الجنسية وإن لم يكن غرضها الإنجاب، تعني أيضا الموافقة على احتمالية حدوث حمل، فمن المعروف جيدا أن أفضل وسائل منع الحمل قد تعجز عن القيام بدورها على الوجه الأكمل .

ومن ناحية أخرى، نجد أن كيفية اعتماد الجنين على جسد الأم تختلف عنها في حالة عازف الكمان، "فعازف الكمان يحتاج فقط إلى كلية الشخص المخطوف نظراً لتوفر وسائل علاجية أخرى، أما في حال الحمل تبيان الجنين يعتمد وبصورة مباشرة وكلية على جسد الأم، هذا الاختلاف في درجة الاستقلالية يتولد عنه أن تصبح المسؤولية تجاه عازف الكمان أقل وطأة من تلك التي تكون من الأم تجاه الجنين ، وهذا الاختلاف بدوره هو ما يجعل الانفصال عن عازف الكمان والتسبب في موته يندرج تحت مسمى (دعه يموت) في حين بدرج الإجهاض تحت مسمى القتل العمد"⁽²⁾.

(1) Deckers, J., Why Tep Argument from Probability fail and one Argument from Thomson Analogy of the Violinist Succeed in Justifying Embryo Destruction in Some Situations, In: Journal of Medethics, 2007, N. 33, P. 163.

نقلاً عن: المرجع السابق، ص81.

(2) شيماء عطية: ص81.

إن الشخص النفعي الذي يتبنى موقفًا قاسيًا لتأييد الإجهاض، إيمانًا منه بأن الإجهاض مجرد عملية لإزالة أنسجة غير مرغوب فيها، يتصرف بطريقة لا تؤدي إلى حياة سعيدة أو مُرضية. يبدو أن تصور المرأة التي قامت بإجهاض جنينها أثناء حملها في الشهر الثاني يجلب لها المزيد من السعادة لأنها كانت تعتقد أن الحمل سيكون مصدر إزعاج. من الصعب إعطاء تعريف حاسم لمصطلحي "السعادة" و"التحقيق". سوف يُعرّف التعريف الحديث هذه المصطلحات على أنها ذاتية ومؤقتة. ومع ذلك، تشير هذه المصطلحات إلى حياة الشخص ككل⁽¹⁾.

ترتبط فضائل الإنسان بسعادته وتحقيقه للإنجازات. والفضائل، مثل الطيبة والشجاعة والإيثار وغيرها، ليست مجرد صفات؛ إنها ليست أشياء يمتلكها بعض البشر ولا يمتلكها البعض الآخر؛ بل يمتلكها الجميع. إنها "طرق ممكنة للوجود" وبالتالي فهي تُعرّف البشر. وبناء على ذلك، فإن السعادة والتحقق ليست شعورًا عابرًا. بل يتم بلوغها من قبل الفرد، من خلال أفعاله، وتحقيق أعلى إمكانية لوجوده. بعبارة أخرى، كون المرء صالحًا دمث الأخلاق سوف يساعده على أن يعيش حياة سعيدة ومُرضية.

يتعارض الإجهاض مع فضائل المرء، ومن ثم، فهو يعيق قدرة المرء على التمتع بحياة مُرضية وسعيدة. يحدث هذا الأمر لأن قدرة المرء على إقامة علاقات مع الآخرين، وقدرته على الاهتمام بالآخرين ورعايتهم، والتضحية بمتعه الشخصية من أجل الآخرين تتكامل مع فضائله. والإجهاض يتعارض مع كل هذه الفضائل⁽²⁾.

إذن يضر الإجهاض بفضائل المرء، ومن ثم، يعيق قدرته على التمتع بحياة سعيدة ومُرضية. ترى وجهات النظر المؤيدة لإباحة الإجهاض حول بداية الشخصية غامضة لأن نمو البشر وتطورهم تدريجي. لذلك، فإن الحمل هو البداية الدقيقة الوحيدة للحياة. ومع ذلك، يجادل سينجر بأن كلتا الحجتين تخطئان الهدف. إلا أن

⁽¹⁾Countryman Jacob.

⁽²⁾Ibid.

حجة سينجر تحتوي فقط على العقل. ومع ذلك، فإن العقل ليس سوى جانب يساعد على إنشاء الأخلاق السليمة. ويعد التمسك بالفضائل جانب آخر يحدد الأخلاق السليمة. وبناء على ذلك، الإجهاض ضار بفضائل الفرد، فهو غير قادر على تعزيز حياة سعيدة ومُرضية⁽¹⁾.

الإجهاض والأرحام الاصطناعية

الإجهاض هو الإنهاء المتعمد للحمل، وينطوي هذا الفعل، حسبما يحدث حالياً، على موت الجنين. وبالتالي، فإن الجدل حول (حق من تتعرضن لحمل غير مرغوب في إجهاض أنفسهن) عادة ما ينقسم إلى موقفين أحدهما مؤيد لاختيار إنهاء الحمل (المدافعون عن حق الاختيار) في مقابل الآخر المؤيد لحياة الجنين (المدافعون عن حق الحياة). ويؤكد المدافعون عن حق الاختيار أن الإجهاض مقبول في ظل ظروف مختلفة، ويستشهدون بفكرة أننا يجب أن نحترم حقوق الحوامل في اختيار ما يفعلنه بأجسادهن - احترام الاستقلال الجسدي - كسبب رئيسي لمنحن حق الإجهاض. ومن ناحية أخرى، يدعي المدافعون عن الحياة أن الإجهاض غير مقبول في معظم الظروف، وهم يحتجون عادة بأن للجنين الحق في الحياة وتشير الأحداث الأخيرة، مثل قرار المحكمة العليا في بولندا في أكتوبر ٢٠٢٠ بحظر معظم عمليات الإجهاض وما نتج عن ذلك القرار من مظاهرات واحتجاجات ضخمة حول العالم، إلا أن الجدل حول الإجهاض لم يتم حله بعد⁽²⁾.

تقنية الرحم الاصطناعي

في الوقت الحاضر، يتم تمويل معظم الأبحاث حول تقنية الرحم الاصطناعي لمعالجة المضاعفات الصحية التي تحدث نتيجة للولادة المبكرة. لكن تكنولوجيا الرحم الاصطناعي قد تجعل الحمل خارج الجسم البشري ممكناً يوماً ما، وسيكون لهذا آثار جذرية على الجدل حول الإجهاض.

⁽¹⁾ Ibid.

⁽²⁾ Abortion & Artificial Wombs. Issue 144 Philosophy Now.

<https://philosophynow.org/issues/144/Abortion-and-Artificial-wombs>

يطلق على فكرة الحمل داخل الأرحام الاصطناعية مصطلح (ectogenesis) أي "التوالد الخارجي"، وهو مركب من الكلمتين اليونانيتين (ecto) بمعنى "الخارج / الخارجي" و (genesis) أي "التكوين أو الخروج للحياة". وهناك طريقتان محتملتان للتوالد الخارجي، من شأنهما أن تؤديا إلى تحديين مختلفين للجدل حول الإجهاض. إذ ينطوي التوالد الخارجي الجزئي على نقل الجنين من رحم بشري إلى رحم اصطناعي في مرحلة ما من الحمل. وفي المقابل ينطوي التوالد الخارجي الكامل على تخليق الجنين في أنابيب الاختبار ووضعه مباشرة في رحم اصطناعي، وبالتالي يتم تجاوز الرحم البشري تماما. ولقد كانت الأبحاث في السنوات الأخيرة واعدة بما يكفي لأن نتوقع التوالد الخارجي الجزئي في المستقبل القريب نسبيا. وعلى النقيض من ذلك، فإن التوالد الخارجي الكامل قد لا يكون ممكناً إلا في المستقبل البعيد أو غير المنظور. لكن كلا النوعين من التوالد الخارجي يثيران قضايا مهمة تستحق الحديث عنها اليوم.

الرمزية العاطفية للرحم الاصطناعي:-

ما يقرب من نصف قرن، حاول الباحثون الأطباء تطوير رحم اصطناعي. حيث نجد أن حمل الطفل بهذه الطريقة يسمى تقنياً التولد الخارجي، تظهر بعض الأبحاث الحديثة المتقدمة من خلال خلق سقالات من مادة قابلة للتحلل العضوي (الحيوي) مصممة على شكل جزء داخلي في الرحم البشري والتي أضيفت إليها الأجنة (المتبقية من الإخصاب في المختبر). قام البروفيسور هونغ تشينغ ليو من مركز الطب التناسلي والخصوبة بجامعة كورنيل بتغذية الأجنة بالهرمونات، والمواد المغذية، وربطها بجدار الرحم الاصطناعي ثم نمت لمدة ستة أيام إلى أن توقفت التجربة⁽¹⁾.

(1) Pence, G., What's so Good about Natural Motherhood , in Ectogenesis, ed. Scott. John. R.N.Y, 2006, P.74.

أجرى البروفيسور يوشبنوري كوابار أبحاثاً مماثلة في اليابان على أجنة الماعز في أحواض اصطناعية مليئة بالسوائل التي تحيط بالجنين، وإذا القى هذا النوع من البحث نجاحاً، فقد يكون أطفال الولادة المبكرة قادرين على البقاء ولكن الآن ليسوا كذلك وبالإضافة إلى ذلك، مع اكتمال الرحم الاصطناعي، قد يصبح بديلاً عن الحمل التقليدي⁽¹⁾.

ويتم التكاثر في الكائنات الحية بطريقتين: التكاثر الجنسي والتكاثر اللاجنسي لا يتطلب إلا فرداً واحداً (الفرد الأبوي) يتكاثر ويعطى فرداً جديداً يحمل صفات وراثية مماثلة لصفات الفرد الأبوي (الأصل). وبذلك يعتبر التكاثر اللاجنسي استنساخاً طبيعياً. ويشيع هذا النوع من التكاثر في عالم النبات.

أما التكاثر الجنسي، فيتطلب وجود فردين، ذكر وأنثى، لإنتاج الأمشاج (الحيوانات المنوية والبويضات)، ويتعين على تلك الأمشاج أن تتلاقى ليتم الإخصاب وتكوين الزيجوت (البويضة المخصبة) الذي يبدأ في الانقسام والنمو لتكوين الجنين ثم الفرد اليافع الذي يجمع بين صفات الأبوين⁽²⁾.

إن التوالد الخارجي قد لا يكون بعيد المنال كما يعتقد عادة. وفي كثير من الأحيان، يقول المستقيلون إننا في حاجة إلى التفكير في التقدم التكنولوجي المحتمل قبل تنفيذه، حتى تقييم تأثيرها مقدماً⁽³⁾.

ولكن مع هذا التطور بشكل متواصل، فما يعنيه هؤلاء المستقيليون هو أننا يجب أن نوقف عند مثل هذا التقدم حتى نتأكد من أن جميع نتائجها غير خطيرة. إن عبء الإثبات، بعد أن ظهرت الدراسات الرئيسية أن مثل هذه الأرحام آمنة،

(1) Ibid, P. 77.

(2) Campbell, N.A.,; Mitchell, L.G. and Reece, J.B.: Biology: Concepts and connections. Third edition, Longman, Inc. New York, 2000, P.11.

(3) Pence, G., P. 77.

يجب أن يقع على عاتق النقاد الذين يرفضون استخدامها، خاصة على أنها جهود علاجية أخيرة للأطفال حديثي الولادة⁽¹⁾.

لننظر أولاً بإيجاز في التأثير العام الذي يمكن أن يتركه التوالد الخارجي على الجدول الدائر حالياً حول مسائل الإجهاض. فللهولة الأولى، تبدو إمكانية الحمل خارج جسم الإنسان مسألة واعدة إلى حد ما بالنسبة للجدول الدائر حول الإجهاض، إذ أنه عندما يكون بإمكان النساء أن يتجنبن تحمل متاعب حمل غير مرغوب فيه مع ضمان نمو الأجنة دون الحاجة إلى أن يتعارض نموها مع حقوق المرأة الجسدية، فإن التوالد الخارجي يبدو مقبولا لكلا فصيلي النزاع، أي "المدافعون عن حق الاختيار" و"المدافعون عن الحياة". ومع ذلك، فإنه من الممكن أيضا أن يؤدي التوالد الخارجي إلى تعقد الجدول حول الإجهاض⁽²⁾.

التوالد الخارجي الجزئي وحقوق الإجهاض

يدعي البعض أن التوالد الخارجي الجزئي يمكن أن ينهي الجدول حول الإجهاض، ويجادل مؤيدو هذا الرأي بأنه بمجرد أن يصبح الحمل الاصطناعي ممكنا من الناحية التكنولوجية، تصبح الطريقة الوحيدة المقبولة أخلاقية لتلبية طلبات الإجهاض هي استخراج الجنين من المرأة الحامل واستكمال فترة الحمل خارج الرحم بغض النظر عن تفضيل الأم المحتملة (أو تفضيلات الوالدين المحتملين). بيد أنه لا يوجد اتفاق من الجميع على أن ذلك حل مرض أخلاقياً لمسألة الإجهاض، على أساس الاستقلال الجسدي للأم المحتملة؛ فعلى سبيل المثال، مثلما قد ننظر إلى الإجهاض القسري على أنه أمر بغيض أخلاقياً في ضوء افتراض أنه لا ينبغي إجبار المرأة على أن تفعل بجسدها شيئاً لا تريده، فإن عمليات الاستخراج القسري للأجنة ستكون موضع اتهام مماثل بالتدخل في الاستقلال الجسدي للمرأة. لذلك فإنه على الرغم من أن إمكانية اللجوء إلى تقنية الرحم الاصطناعي ستكون إضافة

(1) Ibid, P. 77.

(2) Abortion & Artificial Wombs

مهمة إلى الخيارات المقدمة للنساء اللاتي يفكرن في الإجهاض، فقد يجادل البعض بأن هذا الإجراء - شأنه شأن أي إجراء طبي آخر - يجب ألا يفرض عليهن⁽¹⁾.

حتى في حالة إجراء التوالد الخارجي الجزئي طواعيةً، ينشأ خلاف مثير للاهتمام حول ما إذا كان يجب تصنيف الجنين على أنه مولود بمجرد أن يخرج من الرحم البشري، مثلما يحدث مع الأطفال المبتسرين حالياً، أم أنه سيكون مولود فقط عندما تكمل فترة الحمل (سواء كانت في رحم بشري أو اصطناعي). وإذا تم اعتبار الجنين مولوداً في وقت عملية النقل، فسيكون من المستحيل تقريباً طلب قتل الجنين بعد ذلك، بغض النظر عن وقت حدوث استخراج الجنين من الرحم البشري، حيث سيصبح هذا الجنين تلقائياً طفلاً مبتسراً. وفي هذه الحالة، يبدو أن التوالد الخارجي الجزئي سينهي الحمل غير المرغوب فيه، لكنه لن يمنع خروج طفل غير مرغوب فيه إلى الحياة في أي مرحلة لاحقة لاستخراج الجنين من الرحم البشري⁽²⁾.

الرحم الاصطناعي أفضل في مصلحة الطفل:

هل التوالد الخارجي في مصلحة الطفل؟ ألن تكون الأمومة لطبيعية أفضل دائماً؟ بمجرد أن يبدأ المرء في التفكير في الأمر، فهذا ليس بضرورة كذلك، ولن تتمكن النساء التي يعانين من ضرر أو خلل وظيفي من حمل الأطفال ومعظمهن أم لا يستطعن أن يستأجرون رحم بديل إلي جانب ذلك، فإن تأجير الأرحام ليس فعلاً جيداً في معظم الحالات، لذلك بالنسبة لبعض الأجنة، قد يكون التولد الخارجي هو الطريقة الوحيدة للحمل، وبالنسبة لبعض النساء فإن هذه الطريقة هي الوحيدة التي يصبح بها الجنين من البويضة طفلاً.

ألا يمكننا استخدام بدائل لهذه الأجنة المعرضة للخطر؟ ليس في كثير من الأحيان، لأن النساء على استعداد لتكوين بدائل نادرة ومكلفة وغير متوفرة عند

⁽¹⁾Ibid.

⁽²⁾Ibid.

الطلب عندما تواجه امرأة حامل أزمة في غرفة العمليات. بالإضافة إلى ذلك، ماذا عن النساء ذوات الأرحام التآلفة أو اللاتي ليس لديهن رحم، يمكننا دائماً استخدام أدوات جديدة، ويجب ألا تمنع أبداً إنشاء أي أداة جديدة، خاصة عندما يمكننا من بدء حياة الإنسان والحفاظ عليها⁽¹⁾.

في الواقع، ما الذي يمكن يكون أكثر مؤيداً للحياة؟ عند مناقشة موضوع "الأفضل في مصلحة الطفل هنا يجب أن نتعامل بحذر، لأن أفضلية الطفل هي عبارة غامضة. والادعاء المعتد الذي قدمه النقاد حول المساعدة على الإنجاب وأن الطريقة المثالية للولادة هي أن تكون طفلاً لأبوين متزوجين من جنسين مختلفين يخططون للحمل بعناية أي انحراف عن هذه الفكرة، على سبيل المثال، خلال تقديم طرف ثالث كمانح للحيوانات المنوية أو البويضة أو البديل، وهذا يؤدي إلى إنتاج الطفل⁽²⁾.

قدم بعض العلماء تصورات بديلة للهوية البشرية، والتي قد تكون ضرورية في هذا السيناريو. على وجه الخصوص، اقترحت إليزابيث رومانيس أن ننظر إلى «الكائن موضوع عملية الحمل خارج الرحم باعتباره كيان بشري فريد: أي اعتباره "حمل" وليس جنين أو وليد مبتسر حديث الولادة» "تقنية الرحم الاصطناعي وأهمية الولادة: لماذا لا يعتبر طفل الحمل وليد أو جنين" الطبية. وبغض النظر عن الحالة الميتافيزيقية للجنين بعد استخراجه من الرحم البشري في التوالد الخارجي الجزئي، فإن حدود التعريف - ومن ثم تبرير الإجهاض أو جوازه - تظل محل خلاف⁽³⁾.

حقوق التوالد الخارجي الكامل والإجهاض

سيكون للتوالد الخارجي الكامل تداعيات جذرية على النقاش حول الإجهاض، وذلك لأن التركيز سيتحول بالكلية بعيداً عن مسألة الحق في الاستقلال الجسدي -

(1) Pence, G., P. 81.

(2) Ibid, P. 81.

(3) Abortion & Artificial Wombs.

الذي كان حتى الآن أساسا للعديد من القوانين التي تبيح الإجهاض - إلى مسألة أكثر إثارة للجدل أخلاقية وهي الحق في إنهاء حياة الجنين.

ويمثل التوالد الخارجي الكامل تحدياً أمام مؤيدي حق الإجهاض إذ ينبغي عليهم تبرير جواز السماح أخلاقية بإنهاء حياة الجنين إذا تم تفنيد الحجج التي يستشهد بها المدافعون عن حق الاختيار كاستقلال الجسدي مثلاً. وفي هذا السياق تقدم الفيلسوفة جوديث جارفيس طومسون في مقالها الشهير "دفاع عن الإجهاض" (المنشور عام ١٩٧١) حججاً تدعم حق المرأة في اختيار الإجهاض عندما يتعلق الأمر باستقلالها الجسدي، ولكنها تقدم أيضاً حجة ضد "الحق في إنهاء حياة الطفل الذي لم يولد بعد". وهنا يشعر المرء بدهية أن هذه المسألة ستكون موضوع نقاش مضاعف في سياق التوالد الخارجي الكامل، حيث أن التوالد الخارجي الكامل لا يكون عرضاً أبداً من حيث المبدأ، على النقيض من الحمل الطبيعي، بل ينطوي على نية متعمدة من الأبوين المحتملين ولا يشكل أي خطر صحي على الأم التي تتطلع للإنجاب بهذه الطريقة. وهكذا فإنه في حال تغير رأي الأم المحتملة (أو غير الأبوين المحتملين) بشأن إنجاب طفل، ربما يكون أكثر الخيارات استساغة هو أن تتخلى (أو يتخلى) عن أي مسؤولية قانونية عن الجنين أو أي حق فيه؛ وذلك حتى يتسنى مواصلة استخدام الرحم الاصطناعي لاحتضان الجنين الذي يصبح حينئذ بلا أبوين ولكي يتم عرض الطفل للتبني بعد خروجه من الرحم الاصطناعي⁽¹⁾.

سوف يحرر الرحم الاصطناعي المرأة من طغيان الحمل. على الرغم من أن عديد من النساء سيختارن بلاشك حمل أجنهن وسوف يحتفلن باختيارهن ويعتقدون أنه الأفضل لجنينهن، إلا أن أخريات لن يفعلوا ذلك، لذلك يمكننا أن نتوقع بعض الجدل بين النساء حول الحكمة من استخدام الخيار الجديد، ومع ذلك، من الصعب أن نفهم لماذا لا يكون وجود خيار جديد في مصلحة المرأة بشكل عام. إن السماح بمزيد من الخيارات والحرية فيما يتعلق بوقت وكيفية الحمل،

⁽¹⁾Ibid.

وخاصة فيما يتعلق بما إذا كان يجب أن تكون حاملاً على الإطلاق، يمنح مزيداً من المرونة للنساء، اللاتي يتعين عليهن في كثير من الأحيان الموازنة بين المطالب المتضاربة لتربية الأطفال، والوظائف، والحمل⁽¹⁾.

ولعل أحد أكثر الأسباب إلحاحاً لاستخدام الرحم الاصطناعي هو عندما يتعارض الحمل مع صحة الأم أو حيث من المحتمل أن تجعل تسعة أشهر من الحمل صحة المرأة أسوأ مما كانت عليه قبل الحمل.

والأمر الأكثر إثارة للجدال هو أن الفتاة التي تعرضت للاغتصاب أو ضحية زنا المحارم، والتي لا تريد نقل الجنين إليها، من الممكن أن يسمح لها بنقل الجنين إلى الرحم الاصطناعي لتتخلى عنه للتبني. وهذا من شأنه أن يخلق آفاق رائعة. ولنفترض في هذه اللحظة أن الأرحام الاصطناعية آمنة وافترض أن الأموال الكافية متاحة لخلق ما يكفي لأي امرأة تريد إستخدامها. وبالنظر إلى هذه الافتراضات، فإن الاستخدام الواسع للأرحام الاصطناعية قد يقلل بشكل كبير من عدد حالات الإجهاض لأن أي امرأة حامل ضد رغبتها ولا ترغب في الإجهاض يمكن أن تنقل حملها إلى رحم اصطناعي. ثم يمكن تبني الطفل من قبل أي من الأزواج الذين ليس لديهم أطفال في أمريكا اليوم⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن البعض يعتقد أن التوالد الخارجي الكامل من شأنه أن يجعل إنهاء حياة الجنين أمراً غير مقبول أخلاقياً، فإن البعض الآخر قد يجادل بأن حدود الاختيار الإنجابي للآباء المحتملين تشمل أيضاً الحق في إنهاء حياة الجنين حتى في هذه الحالة. ولذلك قد يكون من المطلوب إيجاد رؤية أكثر شمولاً "للحق في الاختيار"، إذ ربما نكون بحاجة إلى توسيع حقوق الأشخاص على مستقبلهم الإنجابي بحيث تشمل حق كل فرد في أن يقرر ما إذا كان سيصبح أباً/أمّاً أم لا. وهذا الحق من شأنه أن ينطوي أيضاً على الحق في أن تقرر ما إذا كنت ستصبح

(1) Pence, G., P. 82.

(2) Ibid, P. 82.

أباً/أماً في وقت معين ومع شريك معين ولطفل محتمل معين. وقد يعتمد هذا الحق مثلاً على حق الفرد في التحكم في مادته الجينية أو حق الفرد في الخصوصية⁽¹⁾.

وإذا افترضنا أنه يمكن تأسيس هذا الحق في السيطرة الشخصية على الوالدية، فإننا ربما نواجه تحديات جديدة أخرى مثل ضرورة أن يكون لجميع الشركاء المشاركين في عملية إنجاب الطفل رأياً في حقوق إنهاء حياة الجنين المعني، فلن يعد هذا القرار امتياز حصري للمرأة الحامل، لأنه قد تمت الاستعانة برحم اصطناعي لإتمام الحمل نفسه.

في ظاهر الأمر، يبدو هذا وكأنه انتصار للمساواة بين الجنسين في الحقوق الإنجابية: بالتأكيد سيكون للأباء الراغبين في الإنجاب، وليس الأبوين المحتملين فقط، رأي متساو في ما يحدث للجنين في الرحم الاصطناعي. ولكن حتى إذا كان ذلك ممكناً، ستظل هناك أسئلة عسيرة، ومنها: لقرار من ستكون الأولوية في حالة الخلاف؟ ما هي النماذج الأخلاقية التي سنستخدمها للفصل بين الأبوين عندما تختلف تفضيلاتهما؟ إلى أي مرحلة من الحمل يكون للأبوين الحق في تقرير إنهاء حياة الجنين؟ نظراً لأن إمكانياتنا وإجراءاتنا الإنجابية تتغير بمرور الوقت، يجب أن نكون مستعدين للتعامل مع هذه الأنواع من الأسئلة⁽²⁾.

العدالة الاجتماعية والرحم الاصطناعي:

من المتوقع أن يتم رحم اصطناعي آمن وفعال باعتباره يخلق فجوة إضافية بين الأغنياء والفقراء، لأن النساء الفتيات الآن لن يحتجن إلى الإنجاب بعد الآن، بل الفقيرات فقط. تماماً مثل بعض النماذج الفنية اليوم، خوفاً من تشويه أجسادهن، استأجروا بدائل لتحمل الأجنة التي تم إنشاؤها من بويضاتهم، على سبيل المثال، ثيريل تيفز، لذا فإن النساء الأثريات في المستقبل ببساطة يودعن أجنة

⁽¹⁾Abortion & Artificial Wombs.

⁽²⁾Ibid.

هن في الحاضنات ويعودن إلى حياتهن الطبيعية. لكن ماذا عن النساء الفقيرات أو اللاتي يفتقرن إلى التغطية الطبية لذلك؟⁽¹⁾

الإجابة العامة هي أننا لسنا بحاجة إلى إجابة نهائية للأسئلة حول العدالة الاجتماعية لنعرف أن الشيء جيد أو شئ من المحتمل أن يكون كل ابتكار في مجال اللإلكترونيات أو الطب أو الصيدلة أو الطيران أو الميكانيكا متاحاً بشكل أكبر للأشخاص الذين يمكنهم تحمل تكاليف الابتكارات التي لا يستطيعون تحملها. ليس الهدف من التقدم العلمى أن يكون حاداً لأولئك الذين يرغبون في إنشاء مجتمع قائم على المساواة الكاملة.

من الناحية العملية، نظراً للفائدة الكبيرة التي تعود على الطفل، من المحتمل أن يدفع التأمين الطبى بالفعل تكاليف الأرحام الاصطناعية. على الرغم من المبالغة في المدخرات المستقبلية من التدخلات الطبية الوقائية، إلا أنه في حالة الرحم الاصطناعى، قد يكون هذا صحيحاً خاصة إذا أخذنا في الاعتبار الفوائد التي تعود على الأجنة والأطفال الذين لا يتعرضون للكحول أو النيكوتين أو الكوكايين، وخاصة إذا اعتبرنا أن هذا التعرض أكثر شيوعاً بين الأمهات ذوات الدخل المنخفض هن الأمهات ذوات الدخل المرتفع، وقد لا يكون الرحم الاصطناعى هو الأداة التي تم إنشاؤها المزيد من العدالة الاجتماعية ولكن العكس.⁽²⁾

إذا تم تطوير الرحم الاصطناعى بنجاح، أو حتى إذا بدأ العلماء في دراسته، فمن السهل أن نتخيل الصرخات الهيستيرية التي سينبعث منها إرميا حول مثل هذه التكنولوجيا الجديدة. سيقال أنه اعتداء على كرامة الإنسانية (Dignity of Humanity) وخاصة كرامة الأمومة (Dignity of motherhood) وتجريد الأطفال من إنسانيتهم، ضد إرادة الله، واعتداء على الأسرة التقليدية، وصدمة نفسية لأى طفل يولد بهذه الطريقة.⁽³⁾

(1) Pence, G., P. 88.

(2) Ibid, P. 88.

(3) Ibid, P. 88.

تعقيب

قد يبدو التوالد الخارجي الكامل الآن احتمالا بعيد المنال أو من قبيل الخيال العلمي، ولكن الإمكانيات المتزايدة لتقنية الرحم الاصطناعي تجبرنا على النظر في جوانب أخلاقية جديدة للمناقشات المستقبلية حول الإجهاض المستقبلية. ومن الممكن أن يمثل التوالد الخارجي إمكانية جديدة واعدة. بيد أن حتى مجرد وجوده كاحتمال يكشف لنا أنه سيلزم وجود سياسات معقولة تحكم مستقبل حقوق الإجهاض، وبالتالي حدد النجاح الأخلاقي لهذه التكنولوجيا. لذلك يجب علينا أن نفكر بشكل صحيح في الآثار الأخلاقية والقانونية لهذه الأمور، بل وأن نقوم بذلك على نحو سليم قبل أن تصبح إمكانية التوالد الخارجي حقيقة واقعة.